Thinking and Its Roles in Human Life Between Well-Being and Ill-Being

Dr. Ibrahem Razuok[*]
Dr. Faris Alnadaf[**]
Ali Tobal Ali[***]

(Received 7 / 8 / 2023. Accepted 11 / 10 / 2023)

□ ABSTRACT □

Thinking is a constructive human function closely connected to human life since man is a social being; it recognizes him from other creatures, defines his identity; hence man has elevated historically speaking due to his elevating thinking.
Though human thinking has been intimately intertwined with meeting the basic expectations of human life, still it has been relatively independent via progressing and complicated social life. Such independent and developing thinking has played an essential role in constructing the sublime civilizations. However, the essence of the developing thinking has not been without flaws; these flaws have reflected negatively on human life and the flow of his civilization. Thus, there has emerged a demand to rethink the thinking seeking its stability, revision, rectifying deviations and positively redirecting it. This rectification is a sustainable process that guarantees development and progressing. The history of philosophy has been pregnant with distinguishable endeavours that tend to rethink and reorientate the thinking. It is inevitable to resume processes of revision, rereading and rectification as is inevitable to comprehend the terms of thinking and identifying the tools and strategies that help instigate the development of learning in a way that contributes to elevating the critical faculty of the thought, crystallizing it and motivating creativity quite constantly as a precondition to challenge crises and provide solutions to the current and emerging problems.

Keywords: Thinking, Creativity, Logic, Flaws, Rectifying, Achievement, & Civilization.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen. Lattakia. Syria.**
****Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities,Damascus University.**
***** (P.H.D) student, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen. Lattakia. Syria. Ali.tobalali@tishreen.edu.sy**

التفكير وأدواره في الحياة الإنسانية بين الصحة والاعتلال

د. ابراهيم رزوق [*]
د. فارس النداف [**]
علي طوبال علي [***]

(تاريخ الإيداع 7 / 8 / 2023. قبل للنشر في 11 / 10 / 2023)

□ ملخّص □

التفكير فعالية إنسانية بناءة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان بوصفه كائنا اجتماعياً ، فتميزه عن غيره من الكائنات، وتصنع هويته، وقد ارتقى الإنسان تاريخياً بارتقاء تفكيره.

وإذا كان التفكير الإنساني بدأ مرتبطاً بتأمين متطلبات حياة الإنسان الأساسية فقد استقل نسبياً مع تطور وتعقد الحياة الاجتماعية ، وكان لاستقلال التفكير ولتطوره مستقلاً دور أساسي في بناء وارتقاء الحضارات، لكن سيرورة التطور الفكري لم تكن خالية من الأخطاء، وكان لأخطاء التفكير انعكاسات سلبية على حياة الإنسان وعلى سيرورة حضارته، ولذا فقد تطلب الأمر تفكيراً في التفكير وسعياً لتصويبه وتجويده وتصحيح أخطائه، ولا بد أن يكون التصويب عملية مستمرة يتحقق من خلالها التطور والتطوير، وقد حفل تاريخ الفلسفة بمساعي متميزة لتصويب وتجويد التفكير، ولابد أن تستأنف عمليات التدقيق والمراجعة والتصويب، ولا بد من فهم شروط التفكير، ولا بد من إيجاد الأدوات والآليات التي تدفع إلى تطوير التعليم على نحو ينمي التفكير النقدي ويجوده ويعززه، ويحفز الإبداع ويرعاه إن أردنا النجاح في مواجهة الأزمات وحل المشكلات الراهنة والمستجدة.

الكلمات المفتاحية : تفكير، إبداع، منطق، أخطاء، تصويب، إنجاز، حضارة

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

[*] **أستاذ ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية ، سورية.**
[**] **أستاذ ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق ، سورية.**
[***] **طالب دكتوراه ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية ، سورية.**

مقدمة:

يتميز الإنسان بأنه الكائن الوحيد على سطح الأرض الذي يمتلك تفكيراً متطوراً مرتبطاً باللغة وبتطوراتها وبإمكانات التواصل الفكري اللغوي مع أبناء جنسه، وهذا الامتلاك هو الذي مكنه من تجاوز حياته البدائية، ومن تحقيق الكثير من الإنجازات التي حررته من مخاوفه البدائية، ومن قسوة الطبيعة وتقلباتها، وجعلته سيداً على الطبيعة يغيّر فيها بشكل مستمر لتكون أكثر قدرة على خدمة مصالحه، وتحسين شروط حياته؛ فالتفكير هو هوية مميزة للإنسان، وهو أساس كل إنجازاته؛ فبدون التفكير لم يكن من الممكن أن يتحقق أي تقدم حضاري أو أي تحسن في شروط حياة الإنسان.

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية البحث من كونه ينصب على موضوع التفكير الذي يرتبط بكل أشكال الفعالية الإنسانية، وبما يمكن أن يتمخض عنها من نتائج تؤثر على حياة الإنسان بشكل أو بآخر؛ فلنجاحات الإنسان ولإخفاقاته علاقة وثيقة بنوع ومستوى وجودة تفكيره؛ ويهدف البحث إلى دراسة الأوهام الفكرية التي تعيق التفكير، وتمسخ نتائجه، وتجعله يؤثر سلباً على حياة الأفراد والجماعات، لأن دراسة أوهام التفكير لفهم عوامل تشكلها وآليات تأثيرها تساعد على التغلب عليها كما تساعد على تجنب تأثيراتها السلبية التي تفقر الأفراد والجماعات.

ومن خلال هذا البحث سنتناول بالنقد والتحليل مفهوم التفكير وأنماطه، وسنتتبع أبرز الأطاريح الفلسفية التي عالجت هذا الموضوع عبر سيرورة تاريخ الفكر الإنساني في مسعى لفهم معوقات التفكير والتوصل إلى ما يحرره ويعززه ويطوره، ويضمن جودته وجودة نتائجه.

أنواع التفكير ومستوياته ومتعلقاته:

يرتبط التفكير ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان في كل جوانبها وفي كل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية، لكنه يختلف حدة وفعالية وجودة واتجاهاً باختلاف الظروف وباختلاف الأفراد والجماعات «فالتفكير الفعال يعد شرطاً ضرورياً لأي فعل إنساني ولأي ممارسة عملية»[1] ومن المؤكد أن للتفكير ارتباطاً وثيقاً بكل عمل إنساني وقد أحسن الدكتور زكي نجيب محمود التعبير عن علاقة التفكير بالعمل عندما قال: «لا تكون الفكرة إلا تمهيداً لعمل ولا يكون الفعل إلا ذيلاً لفكرة»[2] فعلاقة الفكر بالعمل ليست علاقة خطية تسير باتجاه واحد بل هي علاقة تبادلية جدلية، فنتاج التفكير يؤسس للعمل ونتائج العمل تفرض نفسها في عمليات مراجعة الأفكار وإعادة بنائها.

إن للتفكير علاقة وثيقة بظروف الإنسان وبأزماته وبأشكال مواجهة هذه الأزمات، وبالقدرة على تطويقها وتجاوزها، إنه أساس إنجازات الإنسان الحضارية وأساس مستقبله و «كثيراً ما ينظر إلى الأفكار على أنها مشرع الواقع»[3] فيرتسم المستقبل على هذا النحو أو ذاك بتأثير طبيعة الأفكار المؤسسة وبتأثير ما تنطوي عليه من عناصر قوة وفعالية.

لقد كان التفكير الإنساني في نشأته وبداياته الأولى مرتبطاً مباشرة بالعمل الإنساني، وباحتياجات تأمين متطلبات نجاح هذا العمل، لكنه مع تطور وتعقد الحياة الإنسانية نشأت أنساق من الأفكار ومنظومات فكرية ولدت ونمت بداخلها أفكارٌ

---

[1] – روزين، فاديم، *التفكير والإبداع*، ترجمة د. نزار عيون السود، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011،ص19.

[2] – محمود، زكي نجيب، *في حياتنا العقلية*، دار الشرق، بيروت، طبعة ثالثة 1919،ص185.

[3] – روزين، فاديم، *التفكير والإبداع*، ترجمة د. نزار عيون السود، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011،ص22.

لا ترتبط مباشرة باحتياجات العمل لكنها في التحليل الأخير تستند إلى تحليل ونقد ما ينجم عن العمل وما يترتب عليه، وتؤسس –وإن بشكل غير مباشر– لتطويره وتجويد ثماره.

إن الاستقلال النسبي للفكر عن الواقع أتاح ويتيح تبادل الخبرات والأفكار المتولدة عن تلك الخبرات بين مجتمعات متباعدة زمانياً ومكانياً؛ وتأسيساً على ذلك شهد ويشهد تاريخ الفكر الإنساني أشكالاً من الخصوبة الفكرية ومن التلاقح الفكري المولّد للجديد، ولهذا التلاقح أهمية كبيرة في بناء وتطوير المعارف العلمية في علوم الطبيعة والرياضة التي وفرت وتوفر لها مناهجُها قدراً من الدقة والموضوعية لا نجدها في الأفكار والرؤى الثقافية، وفي علوم الإنسان، وفي النتاج الفلسفي؛ ولهذا التلاقح أيضاً أهميةٌ لا يستهان بها في رفد وإغناء وتطوير الرؤى الثقافية والعلوم الإنسانية والفكر الفلسفي، لكن ما يجب أن يؤكد عليه في هذا المقام أن أطروحات العلوم الإنسانية وثمارها، والأفكار الفلسفية والرؤى الثقافية ترتبط إلى حد كبير ببيئتها الاجتماعية وبظروف نشأتها وتطورها وبالمواقع الإيديولوجية لأصحابها، أما العلوم الطبيعية والرياضية فهي علوم يتحقق الفصل في مساراتها ونتائجها بين الرؤى العلمية وبين الانتماءات الإيديولوجية للمشتغلين بالعمل العلمي، وبين شروط بيئة العلماء من جهة، وبين نتائج أبحاثهم من جهة أخرى.

وكثيراً ما يواجه الإنسان تحديات عالمه بأفكار موروثة ومفتقرة إلى الصحة والموضوعية أو بأفكار ولدتها برمجيات خاطئة؛ الأمر الذي يؤسس لمشكلات وأزمات تذري بالإنسان وتسبب تعاسته وشقاءه.

إن للأفكار الثقافية والفلسفية ولأطاريح وثمار العلوم الاجتماعية علاقات وثيقة ببيئتها وبشروط إنتاجها وتشكلها، ولكنها عندما تستوفي شروط الصحة ومتطلبات الموضوعية تنطوي على قدر من المرونة تمكّن من تشكل وتنامي النقد المطّور والبناء الذي يطوّر ويتطور يرتقي ويُرقي؛ أما عندما يمتلأ العقل بالأفكار المتصلبة المغلقة والمعتلة التي ورّثتها أو ولدتها برمجيات خاطئة فإن قدرات العقل النقدية تتراجع، وتتضاءل أو تنعدم فرص الإبداع الذي يؤسس للنهوض الحضاري ولمزيد من الإبداع المؤسس للنهوض والارتقاء.

وللأحوال النفسية والمزاجية للإنسان ولما تحمله من حزن وفرح ومن تفاؤل أو تشاؤم تأثيرات كبيرة على نوعية الأفكار وعلى جودتها؛ فالتشاؤم المتواصل قد يعطل الكثير من القدرات، وطالما انعكس سلباً على طبيعة وجودة النتاج الفكري، وللأمل والتفاؤل أثر كبير في إبداع الأفكار وفي تحقيق الإنجازات العلمية «فالأمل الذي ينهض بشكل أبدي متجدد في صدور العلماء هو أساس انطلاقهم وسيرهم للأمام» [4] وانطلاقة العلماء ومسيرة نشاطهم العلمي المؤسسين على الأمل هما أساس التطور وأساس النهوض.

ورغم أن الفكرة هي بنت بيئتها كما يقال إلا إن ارتباط الأفكار ببيئاتها ليس ارتباطاً ميكانيكياً فللأفكار قدرة على تخطي المسافات والقيود الزمانية والمكانية بهذا القدر أو ذاك وعلى هذا النحو أو ذاك؛ وقد يكون للتخطي أبعاد وتأثيرات إيجابية أو سلبية على حياة الأفراد والجماعات، فقد تسافر الفكرة إلى عصور سابقة لتستقي من أفكار تلك العصور – سواء أكانت صحيحة أم معتلة– ما ينميها ويمنحها قوامها، وقد ترتبط الفكرة بأفكار تقدمية وتتغذى من إبداعات تجعلها تسبق عصرها وتؤسس لتجاوزه حضارياً.

إن الأفكار التي تصنع وتنضج في عقل الإنسان تدخل في علاقة جدلية مع هذا الإنسان، فالإنسان يصنع أفكاره تحت تأثيرات مختلفة لتعود هذه الأفكار وتصنع الإنسان أو تعيد صناعته على هذا النحو أو ذاك؛ إن الإنسان يصنع أفكاره وأفكار الإنسان تتدخل إلى حد كبير في صنع نجاحه أو فشله، وفي سعادته أو شقائه ضمن سياق جدلي ممتد.

[4] – **Levy. H, The Universe Of Science, C. A. Watts & Co. Fleet Street, London, 1932, P 152.**

لقد مر التفكير الإنساني بمراحل عديدة قبل أن يصل إلى ما نراه في عصرنا من تطور في آلياته ومناهجه وأدواته؛ وتعتبر المناهج العلمية التي طورها العلماء والفلاسفة ثمرات من ثمار التفكير الإنساني الصائب والمضبوط من جهة وركيزة أساسية لإنتاج الأفكار الصحيحة والقيمة التي تسهم في تطور وارتقاء الحياة الإنسانية من جهة أخرى.

إن تفكير الإنسان لا يرتبط بوعيه فقط بل يرتبط بلا وعيه أيضاً، وإن «نتائج بحوث الأنثروبولوجيا تمدنا بمعرفة هي أن الوعي نتاج للتمايز المتأخر الذي ظهر حديثاً، فالوعي يطفو مثل بزرة صغيرة على محيط اللاوعي الواسع اللامحدود الذي يشتمل على العالم كله» [5]

فمخزوننا الفكري اللاواعي الذي ينطوي على برمجة أسهم الأبوان والبيئة والمدرسة والأقران والإعلام في تشكيلها تتدخل بقوة في توجيه تفكيرنا واهتماماتنا، وفي اتجاهنا نحو هذه الخيارات أو تلك أو نحو هذا النمط من التفكير أو ذاك؛ ومن المفيد أن نشير إلى تأكيد يولاند جاكوبي –المؤسس على دراسته لكارل يونغ– على التأثير الكبير للاوعي إذ يقول: «لا يليق بنا أن ننكر أن وعينا يعتمد على اللاوعي في كل وضع هام من أوضاع حياتنا»[6] ؛ إن اللاوعي يؤثر في التفكير الواعي و«اللاوعي يزودنا برد فعل ناشئ عن تجربة البشرية ومتناغم مع ضرورات وقوانين حياة الإنسان الداخلية» [7]ودراسة العلاقة بين الوعي واللاوعي دراسة رصينة تفتح آفاقاً جديدة أمام فهم وحل الكثير من مشكلات الإنسان الراهنة والمستجدة.

لقد ارتقى التفكير الإنساني من البدائية ومن ردود الفعل الغريزية والارتجالية إلى أشكال راقية من الضبط والتنظيم المحفزين لإنتاج المعارف التي تعلو ويعلو بها الإنسان؛ وإن كان هذا يصح عندما ننظر نظرة عامة على سيرورة التاريخ الإنساني، فإنه لا يصح بل كثيراً ما يفرز استثناءات وأشكالاً من النكوص عندما ننتقل إلى دراسة حالات محددة في بيئات ومجتمعات محددة .

والأعمال الإنسانية تنطلق دائماً من أفكار مؤسسة وتنطوي على أخرى تنمو بالعمل وتغتني به، وللأعمال دلالات على أصحابها وعلى السياق الذي تنشأ فيه، وقد أكد برتران سان سرنان أنه «ينبغي لنحكم عما هو الإنسان أن لا نسائل العلوم وحسب بل أن نلاحظه في أعماله» [8] فأعمال الإنسان كانت ومازالت وستبقى تقدم مؤشرات مهمة عن قيمه وعن طرائق تفكيره.

إن لطبيعة ولمستوى جودة تفكيرنا دوراً أساسياً في تحديد شكل تفاعلنا مع البيئتين الطبيعية والاجتماعية، وفي تحديد نتائج هذا التفاعل وتأثيراته على كل أطرافه، وقد لعبت المعارف المنهجية التي أفرزتها سيرورة التفكير الإنساني دوراً كبيراً في التأسيس لأنماط من التفكير أكثر ضبطاً وأكثر قدرة على توليد الأفكار والمعارف التي تسهم في تحسين شروط حياة الإنسان والارتقاء بإنسانيته، لكن هذا لم يتحقق للإنسان في وقت قصير فللوصول إلى ضبط وتجويد وتحسين التفكير احتاجت الإنسانية إلى جهد شاق وإلى عمل دؤوب وإلى مراجعات مستمرة وتصحيحات مستمرة لأخطاء الفكر والعمل.

---

[5] – **جاكوبي، يولاند، *علم النفس اليونغي*، ترجمة ندره اليازجي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1993،ص18.**

[6] – **جاكوبي، يولاند، *علم النفس اليونغي*، ترجمة ندره اليازجي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1993،ص21.**

[7] – **جاكوبي، يولاند، *علم النفس اليونغي*، ترجمة ندره اليازجي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1993،ص21.**

[8] – **سرنان، برتران سان، *العقل في القرن العشرين*، ترجمة فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة، دمشق، 2000،ص267.**

إن العلم هو ثمرة للتفكير العلمي السليم و«العلم هو انتصار للعقل»[9] كما يؤكد ماكس بيروتز ؛ واستناداً على هذا الانتصار تؤسس الانجازات الحضارية الكبرى في التاريخ الإنساني، فالعلم الذي يولده ويرقيه التفكير العلمي ليس مقصوداً لذاته بل لكونه أداة تحرير وتطوير يجب أن نقويها ونحسن استخدامها، واستناداً إلى هذه الرؤية «علينا أن نعمل على تطبيق العلم من أجل السلام وأن نسعى إلى توزيع خيراته على الجنس البشري كله توزيعاً أكثر عدلاً»[10] ورغم كل ما تحقق للإنسان وللإنسانية من منجزات ومكاسب في مجالات الفكر وفي مجالات تطبيقه فإن هناك أخطاءً مستجدة تفرزها سيرورات التفكير والعمل وعلى الإنسان أن يجتهد في رصد واكتشاف وتصويب تلك الأخطاء.

أخطاء التفكير:

هناك أخطاء عامة يرتكبها الإنسان ويعاني من تبعاتها السلبية دون وعي منه، لكن دراسة هذه الأخطاء والتعرف على آليات وشروط ارتكابها تساعد على تجنبها وعلى الوقاية من تأثيراتها السلبية ومن أبرز هذه الأخطاء:

– الميل إلى التعميم السريع حيث يميل الإنسان إلى التعميم السريع عند تحليل المعطيات وعند اطلاق الأحكام دون وجود مسوغات منطقية ووقائع تجريبية تسند هذا التعميم وكثيراً ما يترتب على هذا الميل صعوبات ومشكلات يعاني منها الإنسان على المستويين الفردي والجماعي، وهذا الميل إلى التعميم السريع هو سلوك بدائي يتكرر ويعكس افتقاراً إلى النضج المعرفي والحضاري لدى أصحابه؛ إن تضمين أحكامنا ألفاظاً مثل جزء من، بعض، غالبية، أكثر، معظم بدلاً من كل وجميع وعامة يجنبنا الوقوع في شراك التعميم ويفسح في المجال أمام وجود استثناءات ترتبط بنقص الخبرة في علوم الطبيعة، وبنقص الخبرة وبوجود الإرادات الحرة التي تصنع التنوع في ميدان العلوم الإنسانية وفي ميدان الحياة الإنسانية المعاشة .

– ومن أخطاء التفكير المتكررة أيضاً النزوع إلى التبسيط المرتبط بقلة الخبرة في الميدان المبحوث أو المفكر فيه؛ والتبسيط عندما يتجاوز حداً معيناً مقبولاً يتحول إلى تسطح وابتذال وإلى مسخ مقيت للأفكار والأحكام؛ كأن يسترسل شخص ما في الحديث في ميدان لا يعرف عنه إلا القليل، ولهذا أيضاً تبعاته وتأثيراته السلبية على حياة الأفراد والجماعات، وتبسيط التفكير وتسطحه وابتذاله شائع كثيراً في الحياة اليومية وربما عند المبتدئين في العمل البحثي، لكنه بعيد الحدوث في الأعمال العلمية والبحثية التي ينظمها منطق علمي وإجراءات منهجية رصينة مضبوطة ومطورة.

– ومن الأخطاء العامة للتفكير الميل إلى الانتقائية في تحليلاتنا وفي أحكامنا بتأثير العواطف والأهواء والميول ، وقد يحصل هذا ويتحقق بطرائق ومفاعيل شعورية وأخرى لا شعورية؛ كأن لا نركز فيما نبحث وندرس إلا على ما تدفع إليه عواطفنا وألا نرى إلا الإيجابيات ونتجاهل السلبيات الكثيرة الموجودة والواضحة عندما يتعلق الأمر بوقائع وأحوال ترتبط بشكل أو بأخر بأشخاص هم موضوعات لحبنا وتقديرنا والعكس صحيح؛ فنحن نميل إلى تجاهل الإيجابيات والتركيز على السلبيات عندما يتعلق الأمر بمتعلقات أشخاص نمقتهم ونحتقرهم وننفر منهم ولا نحبهم.

– ومن أسوء أخطاء التفكير وأكثرها خطراً على سلامة أحكامنا واستدلالاتنا ومواقفنا الجمود والمبالغة في استخدام اللغة القطعية وفقدان المرونة المعقولة التي تعتبر عنصر قوة يساعد على تصويب الأخطاء، ويهيئ سبل التطور والارتقاء،

---

[9] – بيروتز، ماكس، *ضرورة العلم – دراسات في العلم والعلماء*، ترجمة وائل أتاسي وبسام معصراني، سلسلة عالم المعرفة 245، أيار 1999،ص126.

[10] – بيروتز، ماكس، *ضرورة العلم – دراسات في العلم والعلماء*، ترجمة وائل أتاسي وبسام معصراني، سلسلة عالم المعرفة 245، أيار 1999،ص128.

واللغة القطعية تنتشر كثيراً في لغة الحياة اليومية وفي بعض خطابات العلوم الإنسانية التي تتسلل إليها الإيديولوجية ومتعلقاتها، لكن النقد الأبستمولوجي يفككها ويبعدها عن الخطابات العلمية المستوفية لشروط الصحة والسلامة.

– إن التفكير الخرافي أو التفكير المحكوم بالخرافات هو نمط من أنماط التفكير المعتل الذي يلجأ إليه ويعتمده أفراد وجماعات في ظروف ومواقف مختلفة نتيجة تداخل وتفاعل مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والشخصية والبيئية؛ ويتميز هذا النمط من أنماط التفكير بافتقاره إلى المنطق وباعتماده على خرافات أنتجتها بيئة المفكر أو انتقلت إليها من بيئات أخرى سابقة أو متزامنة مجاورة أو بعيدة بأشكال مختلفة وبآليات شعورية وأخرى لا شعورية؛ وفي هذا النمط من أنماط التفكير تتدخل الخرافات وتفرض نفسها على خطواته ومراحله وعلى مساراته، فترى الخرافات حاضرة في الافتراضات والتحليلات وفي طرح الأسئلة وفي الاجابات والنتائج؛ وهذا النمط من أنماط التفكير ينتج أوهاماً لا معارف ويعكس اعتماده واعتماد نتائجه أزمات ويؤسس في الآن ذاته لأزمات تفقر وتسقم الإنسان والمجتمع.

– وهناك نوع من أخطاء التفكير ينتج عن نقص المعارف والخبرات وعن عدم الاطلاع بشكل كاف على كل جوانب وملابسات موضوع التفكير؛ فما أكثر الأخطاء في التفكير وفي الأحكام التي تبنى عليه نتيجة قصور معارفنا، وقصور أدواتنا البحثية، وما أكثر الأخطاء في التفكير وفي الأحكام التي تبنى عليه نتيجة عدم اطلاعنا على الأفكار والآراء المخالفة لأفكارنا وآرائنا وعلى الحجج التي تسند تلك الأفكار؛ إن أحكامنا الموضوعية يجب أن تنطوي على معارف كافية بكل أبعاد الموضوع المستهدف، وبكل أبعاد ودلالات المصطلحات التي تنطوي عليها وترتبط بها تلك الأحكام.

مخاطر أخطاء التفكير :

إن عمليات التفكير غير المنطقي تفضي إلى نتائج آنية أو مستقبلية تنعكس سلباً على حياة الأفراد والجماعات، فمعظم حالات الفشل والإخفاق والاضطراب التي يعاني منها الإنسان وتعاني منها المجتمعات تعود في جذورها إلى عمليات تفكير تفتقر إلى المنطقية والموضوعية.

إن الذي يفكر بطريقة معتلة لا يدرك أنه يفكر بطريقة غير منطقية ومعتلة وذات تأثيرات سلبية عليه وعلى مجتمعه؛ لذا فإن بيان عيوب وأخطاء التفكير ضرورة حضارية ومطلب تنموي تقع مسؤوليته على المثقفين التنويريين الذين يكبرون إنسانية الإنسان ويستجيبون لمتطلبات النمو الحضاري ولمتطلبات التقدم التاريخي؛ إن أخطاء التفكير التي لا تُدرك ولا تُصوب تميل إلى استنساخ نفسها مفضيةً إلى تراجع حضاري وإلى أزمات مفرخة للأزمات؛ لذا يجب أن نعمل بدأب لتصويب أخطاء التفكير، ولتحرير الإنسان من الأوهام الفكرية، ويجب أن نستمر في تحقيق التراكمات الجزئية في هذا المجال لأن النجاحات الجزئية في هذا المجال ستشكل منطلقات تفضي إلي نجاحات أكبر وأكثر أهمية.

مساع مختلفة لتصويب التفكير وتحريره من الأوهام:

لقد شهدت الإنسانية في مراحل مختلفة من تطورها الحضاري محاولات لتصويب التفكير وتجويده وتحريره من الأوهام قام بها مفكرون وفلاسفة أفذاذ أدركوا الدور السلبي الذي تلعبه الأوهام التي تتسلل إلى العقل الإنساني، فتكبله وتعطل الكثير من طاقاته وتفقر إنجازاته؛ ومن أبرز تلك المحاولات وأكثرها شهرة وأهمية ما قام به أرسطو في العصر اليوناني، وفرنسيس بيكون ورينيه ديكارت وأمونايل كانط في العصور الحديثة؛ إضافة إلى اسهامات توماس كون وغاستون باشلار وكارل بوبر وغيرهم في المرحلة المعاصرة.

دور أرسطو :

وسعياً لضبط التفكير وتحرير الإنسان من الأوهام الفكرية التي تتشكل في العقل الإنساني أو تتسلل إليه لتثقل كاهله وتعطل الكثير من قدراته أو تحرفها عن مساراتها الصحيحة وضع أرسطو علم المنطق ورأى فيه آلة لضبط التفكير؛ وقد لعب المنطق الصوري الذي وضع أسسه وصاغه أرسطو دوراً هاماً في ضبط عمليات التفكير وفي تجنب الوقوع في الزلل خلال قيامنا بكثير من المحاكمات والعمليات العقلية.

لكن رغم أهمية المنطق الأرسطي فإنه لم يكن كافياً لتبديد كل الأوهام الفكرية والحول دون تشكلها وانتشارها، فوجهت إليه انتقادات كثيرة منها ما قيل في قياسه بأنه صوري لا يقدم إضافة معرفية لأن نتيجته موجودة ضمناً في المقدمة، لكن المنطق الصوري لم يكن قياساً فقط بل كان جملة من التوصيات والقواعد الفكرية المترابطة التي أُريد منها أن تضطلع بدور هام في ضبط التفكير وتحسين عملياته والارتقاء بمنتجاتها، و لم تبق الإنسانية أسيرة المنطق الصوري في أشكاله الأولى، فقد وجد وأضاف وطوّر فلاسفتها ومفكروها العظام آليات وطرائق وأدوات منهجية أسهمت في تطوير وتعزيز الأطاريح الفكرية وفي تطوير وتهذيب ما يشاد عليها من إنجازات ومن بنى حضارية.

أثر بيكون:

أحسن الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون الذي عاش بين عامي (1561–1626) قراءة واقعه وقراءة النتاج الفكري السابق والمعاصر له، وأفاد من فكر وتجارب نيوتن وجاليليو وغيرهم، وقدم في كتابه (الأورغانون الجديد) انتقادات لمنطق أرسطو، وبيّن عقم القياس الأرسطي ، وأرسى بيكون في كتابه ذاك دعائم المنطق الاستقرائي الذي يقوم على الملاحظات والتجارب، ويستند عليها لكشف أسرار الطبيعة واستخلاص قوانينها، وحذّر من التسرع في التعميم وشرح وفصّل ما عُرف بالأوثان الأربعة لبيكون وهي: (أوهام الجنس أو القبيلة ، أوهام الكهف، أوهام المسرح، وأوهام السوق) لقد أدرك بيكون أهمية المعرفة وأهمية القوة التي تنطوي عليها، وأكد أن «المعرفة البشرية والقدرة البشرية صنوان»[11] ومن خلال دراسته لمعارف معاصريه ومعارف سابقيه رأى أن المعارف قد تعتل وقد تُصاب بالقصور، وأن لاعتلالها ولقصورها تأثيرات سلبية على حياة الأفراد والجماعات، وفيما يتعلق بأسباب القصور المعرفي وعلاقته بأخطاء التفكير قال بيكون: «سبب وأصل كل خلل تقريباً في العلوم هو هذا الداء وحده: أننا في غمرة إعجابنا الخاطئ وإطرائنا لقوى العقل البشري لا نبحث عن دعائم حقيقية له»[12] لذلك حرص كل الحرص على وضع أسس وطرائق منهجية لتصويب المعارف الإنسانية وتحرير الإنسان من الأوهام والشطحات الفكرية الناتجة عن الافتقار إلى المناهج القويمة.

انتقد فرنسيس بيكون المنطق الأرسطي وطرائقه وعاب على القياس الأرسطي صوريته وعقمه وكون نتيجته متضمنة في مقدمته وقال في انتقاده لهذا المنطق: «المنطق الذي بحوزتنا لا جدوى منه في اكتشاف العلوم»[13] وأرسى دعائم منطق جديد هو المنطق الاستقرائي المولد للمعرفة والذي يعتمد على الملاحظات والفرضيات والتجارب ليتجاوز من

---

[11] – بيكون، فرنسيس، *الأورغانون الجديد – إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة*، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013،ص16.

[12] – بيكون، فرنسيس، *الأورغانون الجديد – إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة*، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013،ص19.

[13] – بيكون، فرنسيس، *الأورغانون الجديد – إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة*، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013،ص19.

خلالها عيوب المنطق الصوري الأرسطي وثغرات وعيوب التفكير الذي لا يستطيع الإنسان بالاعتماد على المنطق الصوري وحده تجاوزها.

أثر ديكارت:

لاحظ ديكارت في عصره وفيما سبقه من عصور كثيراً من الأوهام التي اعتقد بها الناس وظنوها حقائق، ورأى أساليب تفكير خاطئة اعتمدها وأصرّ على اعتمادها أشخاص معاصرون وسابقون له؛ وعندها أراد ديكارت أن يؤسس لإنتاج معارف تنهض بالإنسان وبواقعه، فبدأ بوضع قواعد متينة للعقل وللتفكير لأنه رأى أنه «لا يُستطاع إقامة بناء قوي على قواعد ليست على شيء من المتانة» [14]

لقد عمل ديكارت من خلال كتابه قواعد في المنهج على ضبط التفكير الإنساني وتصويب مساراته، فقد انطوى كتابه قواعد في المنهج على انتقادات لطرائق التفكير المعتلة التي سادت في القرون الوسطى، وحرفت العقل عن مساراته الصحيحة.

وانطلق ديكارت من الشك في حواسه، وفي كل أفكاره ومعارفه ليصل إلى إعادة بناء هذه الأفكار وتلك المعارف على أسس متينة يركن إليها الإنسان، وتُؤسس لتحسين شروط حياته؛ وشك ديكارت في كل شيء حتى شك في وجوده، وقد قاده شكه إلى البحث والتدقيق، وإلى وضع قواعد راسخة للمعرفة وضحها في كتابه (مقال عن المنهج) حيث تحدث عن (قاعدة البداهة، وقاعدة التحليل، وقاعدة التركيب، وعن قاعدة الإحصاء) فطالب بألاّ نصدق شيئاً ونثق به إلا إذا كان واضحاً وضوحاً تاماً أمام العقل يمنع حدوث أي شك فيه، وتحدث عن آليات تحليل وتركيب الأفكار بهدف الوصول إلى تحسين وتطوير المعارف، وقال بضرورة إحداث مراجعات نقدية لما نقوم به من عمليات فكرية ولما نحوزه من أفكار؛ وقد اضطلعت أطاريحه الفكرية بدور مهم في تحرير العقل الإنساني من كثير من الأوهام الفكرية التي عاش عليها وعانى منها الإنسان القروسطي، ولعبت عندما اتسع مجال تأثيرها وانتشارها دوراً بارزاً في بناء وترسخ الرؤية العقلانية والاستخدام العقلاني للعقل؛ فقد أسهم كتاب ديكارت(مقال في المنهج) في تحرير العقول مما علق بها من أوهام، وأسس لتحولات نوعية في طرائق التفكير أفضت عندما اتسع مجال تأثيرها إلى تحقيق إنجازات حضارية نهضوية في الواقع ، وإلى التأسيس لإنجازات أخرى، وقد أشاد فيلسوف الحضارة الشهير ويل ديورانت بكتاب ديكارت مقال في المنهج عند حديثه عن ديكارت إذ قال: «لم يكن كتابه مقال في المنهج مجرد رائعة من روائع النثر الفرنسي بل إنه كذلك ضرب للعصر الزاهر في فرنسا مثلاً في لغته وأفكاره، للترتيب وبراعة التفكير والاعتدال في الآداب والفنون والسلوك والحديث، وتلاءم توكيده على الأفكار الواضحة الجلية مع الذهن الفرنسي»[15] وقد كان فكر ديكارت وأطاريحه المتميزة والرصينة في كتابه (مقال في المنهج) تعبيراً عما بلغه العقل الأوربي من التطور، وتأسيساً لأحوال أكثر تطوراً وأكثر رقياً وأكثر حضارية.

---

[14] – ديكارت، رينيه، *مقال عن المنهج*، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثالثة، القاهرة، 1985،ص173.

[15] – ديورانت، ول وايريل، *قصة الحضارة*، الجزء الثاني من المجلد السابع، ترجمة فؤاد أندراوس، دار الجيل، بيروت لبنان،1988،ص335.

لقد شكلت فلسفة ديكارت العقلانية معلماً مفصلياً مهماً في تاريخ الفلسفة أرسى ديكارت من خلاله أسس العقلانية الحديثة واتضح من خلاله الكثير من أخطاء التفكير الذي ساد أوربا القروسطية، وتم انطلاقاً من فلسفة ديكارت العقلانية التأسيس لإنجازات حضارية متلاحقة أفادت الإنسانية أفراداً وجماعات.

إن جهود فرنسيس بيكون ورينيه ديكارت البحثية ومساعيهما لتصويب وتحسين وتطوير أساليب التفكير كانت موضع احترام الكثيرين ممن عملوا في مجال الفكر والفلسفة فها هو فاديم روزين يشيد بمساعيهما قائلاً: «فرنسيس بيكون وديكارت اللذان قاما بنقد وإعادة تفهم أساليب التفكير القديمة الموروثة عن العصور الوسطى وحددوا عدداً من مبادئ التفكير في العصر الحديث»[16].

شروط التفكير وأبرز متعلقاته:

لا يفكر الإنسان بمعزل عن جملة من الشروط التي تتدخل في اختيار موضوعات التفكير وفي توجيه التفكير ورسم ملامحه وفي صناعة إيجابياته وسلبياته وفي تحديد مستوى جودته، وفي فعالية نتائجه وفي تأثيرها في هذا المجال أو ذاك، وعلى هذا النحو أو ذاك؛ وكل شرط من شروط التفكير لا يعمل بمعزل عن الشروط الأخرى، فهذه الشروط تعمل معاً وتتداخل في مفاعيلها وتأثيراتها، فبيئة المفكر الاجتماعية وعلاقاتها بغيرها من البيئات الاجتماعية ومستوى ذكاء المفكر الشخصي ودرجة تحصيله

التفكير وتقاليد المجتمع:

إن تقاليد المجتمع وقيمه تشكل مناخاً فكرياً عاماً يتسرب بآليات لا شعورية وشعورية أحياناً إلى أذهان الأفراد فيتبرمج العقل الباطن لهؤلاء الأفراد على النحو الذي تعزز من خلاله قيم المجتمع وتقاليده، ومن خلال عملية البرمجة هذه توضع حدود لتفكير الإنسان لا يستطيع أن يتجاوزها إلا في حالات استثنائية ونادرة في التاريخ بفضل عباقرة يكسرون قيود التفكير ويطلقون امكانات العقل وهؤلاء هم الذين يؤسسون بتمردهم على أطر التفكير التقليدية للإنجازات الحضارية الكبرى في التاريخ الإنساني.

إن تقاليد المجتمع وقيمه عندما تتمكن في عقول الأفراد تلعب دوراً كبيراً في توجيه الاهتمامات وتحديد الميول، وهي أيضاً تتدخل في طبيعة الأسئلة التي يطرحها عقل الإنسان وفي أشكال ومستويات الإجابات التي تقدمها العقول المبرمجة للإجابة على تلك الأسئلة.

التفكير واللغة:

إن وعي الإنسان بذاته وبالعالم يستند إلى تفكيره الذي يتم من خلال اللغة بوصفها تراثاً اجتماعياً يمارس تأثيراته على تفكير الأفراد من خلال ما ينطوي عليه من خبرات ومخزونات وسلطات؛ إن اللغة ظاهرة اجتماعية تحمل في ثناياها خبرات وتوجهات وقيماً تمارس تأثيراتها على الأفراد بأشكال شعورية ولاشعورية، واللغة ترتبط بخبرات وبأنماط تفكير سابقة لعبت دوراً في تشكل مفرداتها وفي تضمينها المعاني والدلالات، وهي بوصفها كذلك تمارس سلطة فكرية ناعمة وخفية على الأفراد الذين يستخدمونها في تفكيرهم من حيث لا يدرون.

واللغة هي واسطة بين الإنسان وبين خبرات وتفكير أسلافه، وبينه وبين معاصريه؛ كما أنها واسطة بين الإنسان وبين تفكيره الشخصي المرتبط بالضرورة بالبقايا الدلالية التي تحملها اللغة.

---

[16] – روزين، فاديم، *التفكير والإبداع*، ترجمة د. نزار عيون السود، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011،ص19.

إن اللغة بارتباطها بالتفكير بما تنطوي عليه من عناصر فكرية ودلالية هي وسيلة لممارسة السلطة، ويمكن أن تكون بارتباطها بالتفكير أيضاً أداة تحرر ونهوض.

التفكير وأساليب التربية:

إن لأساليب التربية تأثيراً كبيراً على طبيعة التفكير؛ فالتلقين والقسر والقمع في الأسرة وفي المدرسة من الأساليب التي تعطل كثيراً من إمكانات التفكير، وتحرف التفكير عن المسارات القويمة؛ فعندما نسفه ونكرر تسفيه آراء الناشئ وأطروحاته، وعندما يُزجر ويُعاقب لخروجه عن حرفية نص تعليمي فإن عقله الباطن سيبرمج بطريقة خاطئة تؤثر سلباً على تفكيره الباطن والظاهر في آن معاً، وستشكل التراكمات القمعية أصفاداً تكبل تفكيره وتحد من قدرته على اكتشاف الحقائق وإنتاج المعارف.

إن جودة نتاج العقل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتراكمات الصحة والسلامة فيما يسبقه من أفكار ومعارف كما ترتبط أيضاً بفسحة الحرية التي يمارس فيها العقل وظيفته الأساسية (التفكير).

فالقسر والقمع في المؤسسات التربوية ينعكسا سلباً على الصحة النفسية والعقلية للأفراد والجماعات، وهذا بدوره ينعكس سلباً على الواقع وعلى المستقبل الحضاري للأمم والأوطان، وبناء على ذلك فإن اضطلاع المؤسسات التربوية بمهام صقل وتطوير امكانات الأفراد في مناخات من الحرية وتكافئ الفرص هو مطلب حضاري وضرورة تنموية يجب توفيرها واحترامها.

التفكير والأزمات:

إن للتفكير علاقة وثيقة ببيئته وبشروط إنتاجه؛ وثمار التفكير تختلف في طبيعتها وفي اتجاهات تأثيرها من بيئة لأخرى ومن ظرف لأخر؛ فثمار التفكير الإنساني قد تسهم في تبديد الأوهام وفي التأسيس لإنجازات حضارية تحسن شروط حياة الإنسان وترتقي بإنسانيته، وقد تسهم في إعاقة النمو الحضاري وفي تكريس وتعميم التخلف؛ وعمليات التفكير بكل أشكالها هي عمليات قابلة للدراسة المعمقة التي تكشف إلى هذا الحد أو ذاك انحرافاتها ونواقصها وأسباب تلك الانحرافات والنواقص لتؤسس لتصويبها وتحسين جودتها ولجعلها أكثر ملائمة لاحتياجات الإنسان ومتطلبات تقدمه.

إن الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والبيئية والثقافية التي يعاني منها الناس ترتبط في نشأتها وسيرورتها وفي مصيرها المستقبلي بأنماط تفكير الأفراد والجماعات المعنية بالأزمة؛ لكن ارتباط تفكير الأفراد بالأزمات لا يأخذ اتجاهاً واحداً في التأثير، فالتأثير متبادل بين التفكير والأزمات بكل مظاهرها وتعيناتها؛ إن التفكير المعتل يؤسس لقيم معتلة ولسلوك معتل يصنع الأزمات ويفاقمها، وتعود الأزمات بدورها لتؤثر على التفكير فتدفع إلى ترديه وتزايد أخطائه، أو تستنهض طاقات الإنسان وقواه وتحفّزه لإنتاج أفكار تطوق الأزمة وتؤسس لتجاوزها.

في سيرورة التفكير وخصائصها:

لقد تطورت قدرات الإنسان الفكرية في سيرورة حياته التاريخية وأصبحت أكثر فعالية ونجاعة وأكثر قدرة على التأسيس لتلبية احتياجات الإنسان المتجددة

إن ارتقاء التفكير الإنساني وتكاثر وارتقاء نتاجاته الإبداعية أحدثا تحولات نوعية في حياة الإنسان؛ ويتضح بجلاء من خلال دراسة مسارات الارتقاء وحالات الإبداع أن ارتقاء الإنسان مرتبط بإبداعاته الفكرية وبجودة تفكيره وأن والأفكار الإبداعية لم ولن تكون مجرد ومضات ساطعة من الإلهام لأن هذه الأفكار هي نتيجة البحث والاجتهاد والتدقيق

والتحسن المستمر؛ وإذا كان الأمر كذلك فإن الإبداع نقطة تحول مرتبطة بمقدمات سابقة وبجهود حثيثة تراكمت وتكثفت لتظهر الإبداع ولتؤسس لما يُبنى عليه.

ومن خلال التفكير استطاع الإنسان أن يُؤطر العالم في مفاهيم ومنظومات فكرية تختصره وتؤسس للتعامل معه وفق حاجات الإنسان وأمنياته وطموحاته، فبالاستناد إلى ما أنتجه التفكير الإنساني من معارف وما شيده من علوم استطاع أن يسود العالم، وأن يطوع الطبيعة، وأن يخضعها إلى حد كبير لرغباته وخططه؛ إن ارتقاء التفكير الإنساني انعكس على الطبيعة وعلى واقع الإنسان فأصبحت الطبيعة إلى حد كبير طبيعة مؤنسنة، وأصبح واقع الإنسان خاضعاً إلى حد كبير لأفكاره وطموحاته؛ فمن خلال التفكير سبر الإنسان أغوار الواقع واكتشف أسراره، وانطلق متسلحاً بخبراته وبخبرات من سبقه في عمليات استكشاف تنقله من المعلوم إلى المجهول مغنية خبراته ومعارفه ومحسنة في شروط حياته.

إن التفكير قوة تصنع القوى التي تساعد في إحكام قبضة الإنسان على الطبيعة وقواها، وهو مقدمة للتغيير، فبه ومن خلاله تُصنع المعارف وتُبنى التكنولوجيا وتُشيد الإنجازات؛ وباستخدام التفكير وبالاستناد إليه وبحسن استخدامه يفهم الإنسان واقعه ويتصدى لمشكلاته، ويخطط لمستقبله.

و التفكير حاجة يومية للإنسان به ومن خلاله يقارن الإنسان بين البدائل المتاحة أمامه ويختار ما يعتقد أنه أفضلها أو أكثرها ملائمة لحاله ولظروفه؛ ويختلف التفكير ويتفرع من حيث الموضوعات التي يعالجها، ومن حيث طبيعة أو شكل المعالجة، وتختلف أنواعه من حيث جودة مساراتها وجودة نتائجها.

ومن التفكير ما يؤسس لرفع أصحابه ولنقلهم لحال أفضل وأكثر تلبية لمتطلبات الجودة التي يحتاجها الأفراد وتحتاجها الجماعات، ومن التفكير ما يخفض أصحابه ويؤسس لأزمات يحتاج حلها بالضرورة إلى طرائق وأنواع أخرى من التفكير لحل الأزمات وتجاوز المشكلات؛ وتتدخل أشكال ونتائج تفكير الإنسان على نحو أو أخر حتى في الحالات والمواقف العاطفية والوجدانية للأفراد والجماعات، كما تتدخل في حالتي الصحة الجسدية والنفسية للإنسان.

والتفكير هو بعد أساسي من أبعاد القيم التي توجه السلوك والعمل، وتسهم في تحقيق هذا الإنجاز أو ذاك، وفي رسم ملامحه داخل البناء الحضاري على هذا النحو أو ذاك.

إن ضمان الاستخدام الصحيح للعقل والحرص على جودة الأفكار يتطلبان إجراء مراجعات نقدية دورية للنتاج الفكري للعقل ولأدائه في مختلف المواقف والميادين المعرفية؛ ولابد من إعادة النظر في الإجراءات المنهجية والطرائق البحثية التي تحولت إلى عادات فكرية جامدة لأنه «على المدى الطويل، يمكن لعادات فكرية كانت مجدية أن تصبح معيقة للبحث»[17] كما يؤكد غاستون باشلار

الاستنتاجات والتوصيات

لقد تطورت قدرات الإنسان الفكرية تاريخياً فبعد أن كان الإنسان يفكر من خلال المحسوسات ويعتمد التفكير وسيلة لتلبية احتياجاته البيولوجية الأساسية أصبح يفكر على نحو تأملي بعيداً عن احتياجاته البيولوجية الأساسية المباشرة وراح يبني ويطور المفاهيم الفكرية التي تختزن الخبرات وتعبر عنها وتسهل حفظها ومراجعتها ونقلها للأخرين، وقد

[17] – **باشلار، غاستون، *تكوين العقل العلمي- مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية*، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ثانية 1982، ص14.**

لعبت اللغة دوراً أساسياً في عمليات التفكير وفي عمليات نقل وتخزين المعارف فأسهمت في إغناء وتطوير المعارف واغتنت وتطورت هي أيضاً بإغتناء المعارف وتطورها.

وخلال عمليات بناء وتطوير ونقل المعارف المحصلة برزت أخطاء فكرية أساءت لتلك العمليات وأدت إلى حرفها عن غاياتها وإلى إصابتها بالتشوه المؤسس لأخطاء متعددة، فبسبب هذه الأخطاء نشأت أزمات في الفكر عقبها أزمات في الواقع.

إن أخطاء التفكير في تاريخ الإنسان أنتجت أوهاماً فكرية انعكست سلباً على سلوكه وعلى إنجازاته، وعلى طبيعة العلاقات التي تربطه بالآخرين .

وبناء على ملاحظة الأوهام الفكرية التي أنتجها التفكير الإنساني والتي حملها الإنسان واعتمدها أساساً لسلوكه طرح مفكرون وفلاسفة مختلفون اقتراحات لتجنب أخطاء التفكير وأوهامه أو للحد منها ومن تأثيراتها السلبية.

لم يكن تفكير الإنسان دائماً تفكيراً صائباً ومؤسساً للنهوض عبر مسيرة الحياة الإنسانية، فقد اعترى هذا التفكير ضلالات وإخفاقات، وطالما قادت نتائج تفكير الإنسان إلى مواقف وأحداث ووقائع ليست في صالح الإنسان إن لم تكن ضده؛ والتاريخ مليء بالأمثلة على انتكاسات الإنسان وأزماته واخفاقاته بسبب أخطاء تفكيره؛ الأمر الذي تطلب تفكيراً في التفكير الإنساني، وسعياً حثيثاً من أجل تصويب مساراته وتجويده.

ورغم كل التطور الذي تحقق فيما يتعلق بتصويب التفكير، وتحسين جودته، فإن هناك الكثير من الأوهام التي مازالت عالقة في كثير من أنماط تفكير الأفراد والجماعات التي تتفاوت في شدتها وطبيعتها وخطورتها من شخص لأخر ومن نمط لأخر، ومن بيئة اجتماعية لأخرى؛ وبعض هذه الأوهام الفكرية –التي مازالت الإنسانية تعاني منها ومن تبعاتها– ينطوي على خطورة كبيرة تهدد أمن واستقرار الأفراد والجماعات، ويتطلب استنفار الطاقات والإمكانات لتبديدها وللحد من تأثيراتها السلبية.

فأخطاء التفكير لا تنحصر فيما أشار إليه وحذر منه هذ الفيلسوف أو ذاك، وفي هذا الزمن أو ذاك، فهناك كثير من الأخطاء الفكرية التي لم تكن معروفة في عصر بيكون عصر ديكارت لأن مستوى تطور المعارف وبنى المجتمعات ومرجعياتها الفكرية لم تكن تسمح ببروز تلك الأخطاء وإدراكها، وسيفرز مستقبل النشاط الإنساني أخطاء أخرى تستدعي تصويبات مختلفة لتحييدها وتجاوزها؛ إن الخطأ فعل إنساني طبيعي يرتكبه الإنسان في مسار حياته الفكرية والعملية؛ ويتعلم الإنسان من أخطائه فيتطور عندما يحسن مراجعة أفكاره وسلوكه ويحسن اخضاعها لاختبارات فكرية ولعمليات نقد فكري مسلح بما يمكّنه من اكتشاف الأبعاد الخفية والمعقدة للأفكار والسلوكات الإنسانية، لكن غير الطبيعي والمرضي بالنسبة للأفراد والمجتمعات هو أن تتكرر وتُستنسخ الأخطاء الفردية والجماعية معطلة الكثير من الطاقات ومؤسسة لكثير من الإنجازات.

إن تحسين التعليم وجعله ينصب على تطوير إمكانات الأفراد ،و تنمية قدراتهم على النقد والتفكير المستقل في مناخات من الحرية بالتزامن مع تطوير العمل المؤسسي ، ومع بناء علاقات سليمة مع التراث تضمن إحداث قطائع معرفية مع المعتل من هذا التراث من الأمور الضرورية للتأسيس لتجويد التفكير على نحو يؤسس للنهوض المتواصل.

المراجع

– باشلار، غاستون، تكوين العقل العلمي– مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ثانية 1982.

- Bashlar, Gaston. Formation of Scientific Mind—a Contribution to Psychoanalysis of Objective Knowledge. Translated by Dr. Khalil Ahmad Khalil. University Corporation for Studies, Publication and Distribution. Beirut, second edition, 1982.

– بيروتز، ماكس، ضرورة العلم – دراسات في العلم والعلماء، ترجمة وائل أتاسي وبسام معصراني، سلسلة عالم المعرفة 245، أيار 1999.

- Pyrotz, Max. Necessity of Science—Studies in Science and Scientists. Translated by Waél Atasi and Bassam Ma'sarani, World of Knowledge Series 245, May, 1999.

– بيكون، فرنسيس، الأورغانون الجديد – إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

- Bicon, Fransis. The New Organo-- Honest Instructions for Interpreting Nature. Translated by Adel Mustafa. Ro'uya for publication and distribution. Cairo, 2013.

– جاكوبي، يولاند، علم النفس اليونغي، ترجمة ندره اليازجي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1993.

- Jacobi, Yoland. Jungian Psychology. Translated by Nadra Alyaziji. Al-Ahali For Printing and Publication, Damascus, 1993.

– ديكارت، رينيه، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ثالثة، القاهرة، 1985.

- Descartes, Rene. An Article on Curriculum. Translated by Mahmoud Mohamed Alkhudairy. Egyptian Public Board of Books. Third Edition, Cairo, 1985.

– ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد السابع، ترجمة فؤاد أندراوس، دار الجيل، بيروت لبنان،1988.

- Diorant, Wall and Irel, Story of Civilization, Part II, Volume VII. Translated by Fu'ad Andraws, Aljeel House, Beirut, Lebanon, 1988.

– روزين، فاديم، التفكير والإبداع، ترجمة د. نزار عيون السود، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.

- Rosain, Fadem. Thinking and Creativity. Translated by Nizar Oyoun Assoud, Ministry of Culture, Syrian Public Board of Books, Damascus, 2011.

– سرنان، برتران سان، العقل في القرن العشرين، ترجمة فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة، دمشق، 2000.

- Sernan, Bertran San. Reason in the Twentieth Century. Transalted by Fatima Aljayoushi, Ministry of Culture, Damascus, 2000.

– محمود، زكي نجيب، في حياتنا العقلية، دار الشرق، بيروت، طبعة ثالثة 1919.

- Mahmoud, Zaki Najeeb. In our Life of Reason. Alshark House, Beirut, Third Edition, 1919.

باللغة الإنكليزية:

-Levy. H, The Universe Of Science, C. A. Watts & Co. Fleet Street, London, 1932, P 152.